الرّواية الليبية ـ البدايـــة والنّشأة

د. مصباح نصر مسعود النّقراط ـ قسم اللغة العربية ـ كليـــة التربيـــة جامعة بني وليـــــد.

State of Libya Ministry of Higher Education
Bani Walid University
College of Education
Department of Arabic Language
Dr. Musbah Nassar Masoud

Abstract

This paper is an attempt to history of the Libyan novel from its early beginnings to its maturity and prosperity, with an analysis of its most prominent characteristics and influences. The research confirms that the novel as a literary genre is characterized by being volatile and unstable. But on the other hand, it is a rich record of human experiences, victories, and failures.

الملخّـــص:

يتتبع هذا البحث مسيرة الرواية الليبية، بدءًا من تكونها ونشأتها الأولى، مرورًا بمراحل نضجها وتطورها، وصولًا إلى ازدهارها الحالي. ويُحلل البحث أهم السمات والخصائص التي تميز الرواية الليبية، بالإضافة إلى التأثيرات التي أسهمت في تشكيلها. ويُشدد البحث على أن الرواية كشكل أدبي تتسم بطبيعتها المتقلبة وغير المستقرة، وهو ما يعكس حيوية هذا الفن وقدرته على التكيف والتجديد. وعلى الرغم من هذه التقلبات، تُعد الرواية سجلًا أمينًا ووثيقة تاريخية تُجسد تجارب الإنسان بكل ما فيها من انتصارات وإخفاقات. فهي تُقدم صورة شاملة للواقع الإنساني، وتُوثق التحولات الاجتماعية والثقافية التي مرت بها ليبيا

توطئـــــة:

للرواية خصوصية تنفرد بها عن سائر الأجناس الأدبية، لكونها شكل غير منجز ومتقلب المزاج إن صحت العبارة وغير مستقر وغير مُكتمل، كما أن ليس لها قواعد ثابتـه، فكل شيء مسموح فيها، وفي المقابل هي سجل الإنسان الحافل بالخيبات والانتصارات، فتصوّره أحيانا مغتربا وعاجزًا عن التعايش مع واقعه المليء

بالصراعات المتتالية. فتسرد ما يدور من أحداث بشكل نثري له بداية وليس له نهاية يصف الشّخصيات والأحـــداث سواء كانت في الواقع أو في الخيال على هيأة قصة في تسلسل منطقي وتعد من أكبر الأنواع الأدبية بحجمها وتعدد شخصياتها وتنوع أحداثها ، كما أن لها عناصر ترتكز عليها ومن دونها لا يمكن أن تعد رواية ، منها الشخصيات والبطل والخصم والشخصيات الثانوية والحبكة منها النمطية والمركبة والموضوع والزمان والمكان ، و- أيضا- لها مقومات فنية لا يمكن إغفالها وغض الطرف عنها بداية من موضوع الرواية والتفصيل فيها وفنيتها وطبيعتها باعتبارها تقدم ســـرد لأحداث وأزمنة وأماكن كثيرة ، وبالتالي يجب أن يكون الكاتب ملما بالتاريخ وأن يكون باحثا اجتماعيا في آن واحد ، زد على ذلك من مقومات فنية ذاتية الرواية .وللرواية أنواع شتى منها العاطفية والبوليسية والتاريخية والسياسية والوطنية والواقعية ، ولو بحثنا في الرواية الليبية نجدها تعكس فترات من التحول الاجتماعي المكثف على مدار القرن الماضي: فترة الاستعمار الإيطالي (1911-1943)،أنها لم تبدأ في التبلور بشكل واضح إلا بعد الاستقلال - (الرواية الليبية – مقاربة اجتماعية ، علي محمد برهانة، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ،رسالة دكتوراه ، 1996م.ص7) ، وهي فترة الإبادة الجماعية، والنزوح، والمنفى، و فترة تكاد تكون أقصر من سابقتها وهي فترة الإدارة البريطانية والفرنسية إلى إعلان الاستقلال عام 1951.

بدايـــة ظهورها:

اختلفت الآراء حول البدايات الأولى أو الارهاصات لفن الرواية في الوطن العربي ، وكان لظهورها عوامل عدة ومؤثرات ثقافية غربية ،وتحديدا الثقافة الأوربية ، ومما يؤكد أنها تأثرت بشكل كبير بالرواية الغربية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية مع ازدياد حركة الترجمة ، حيث ترجمت مجموعة من الأعمال الروائية الغربية الأمر الذي ساهم بشكل كبير في تطور الرواية العربية ، ومع ذلك يرى بعض الباحثين أن للرواية العربية جدورا تاريخية في التراث العرب ، مثل فن المقامة وبعض السير الشعبية التي كان التراث العربي يزخر بها ، وقد ربطت بعض الأعمال القديمة مثل (الحمار الذهبي) لأبوليوس بالرواية العربية ، ثم تطورت إلى أن وصلت مرحلة الازدهار ، وكان من بين الأسباب ذات العلاقة في ازدهارها ونشأتها نمو الصحافة العربية ، حيث كانت الصحف تنشر الروايات بشكل دوري ومستمر ، ولا يمكن أن نتجاهل دور التأثيرات الغربية باعتبارها نتاج تفاعل تلك التأثيرات الغربية وتطورت ومرت بمراحل إلى أن وصلت إلى مرحلة النضج الأدبي مما يؤكد هذا

القول : حديث الروائي اللبناني غسان الديري عن الرواية ونشأتها "هي جنس مقتبس من احتكاك الأدباء العرب بأدباء العالم تحديدا في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد وقد كثرت التساؤلات عن الرواية في كونها جنس عربي أصيل امتد عن طريق اشكال سردية ظهرت في أدبنا العربي مثلها مثل الحكايات والقصص التي تدور على ألسنة الناس والمقامات ، وفي الوقت ذاته تباينت الآراء بين النقاد واختلفوا في تحديد أول رواية عربية بسب نظرتهم الفنية لها ، والباحث في فن الرواية الليبية وبداياتها يجد التباين والاختلاف في بداية ظهورها، فذهب قول إلى أن أول رواية ليبية كانت رواية (مبروكة) للكاتب الحسن ظافر بن موسى نشرها على نفقته الخاصة في منفاه بسوريا في عام 1937م ،وهذه الرواية تصور مقاومة الليبيين للاحتلال الإيطالي ، وقيل ان السلطات الفرنسية قامت بحضر هذه الرواية وعدم تداولها بأمر من إيطاليا ، ويرى بعض الباحثين أن أول رواية ليبية هي من تأليف (محمد فريد سياله) ويعد عراف الرواية الليبية حيث صدرت له عدة روايات منها (اعترافات إنسان) ،و ما يؤكد الرأي الثاني قول الباحث عبدالله مليطان بوجود رواية قبل رواية مبروكة، ومع ذلك فإن الرواية في ليبيا جاءت متأخرة على عكس القصة القصيرة التي كان ظهورها أولا وبالتالي تعد مهدا للرواية في ليبيا ، وقيل أنها امتداد للخرافة الشعبية ، ولا ننفي الرأي القائل بأن القصة القصيرة تأثرت بكتابات رواد الأدب العربي في جميع الأقطار وإن جلهم كتاب مصريون ،هذا الأمر يجعل الباحث يرجع قليلا إلى الخلف للبحث والتنقيب في الماضي عله يجد ضالته ،وخصوصا عندما يتعلق البحث عن بدايات جنس أدبي ويزيد حماسه وإصراره أكثر إذا تعلق بجزئية من جزئيات تاريخ الأدب الليبي ، هنا يكون الأمر في منتهى الصعوبة لقلة المصادر والتوثيق ، فلا يمكن البحث عن بدايات أي أدب مالم توجد خلفيات ثقافية واجتماعية والالمام الكامل بتلك الثقافات الوافدة ، وقد استطاع الكاتب والأديب سمر روحي أن يثري المكتبة العربية، ويقدم ما نبحث عنه بخصوص بداية الرواية في ليبيا في حين نجد كثيرا من أدبائنا وكتابنا الليبيين يعتقدون بعدم وجود رواية ليبية ، فإن ما نشر منها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة عدداً، كما أنها مجرد محاولات، ولكن هذا القول يعد مجرد رأي قابل للنقد ،فلو أمعنا النظر في كتابات بعض الكتاب ممن تحدثوا عن وجود الرواية في ليبيا ، منهم عل سبيل المثال لا الحصر ، الكاتب (سمر روحي الفيصل) الذي، ألف كتابا بعنوان (دراسات في الرواية الليبية)، (**الذي نشرته المنشأة العامة للنشر/ ط1/83 م.** - الرواية الليبية .. تطلع للوجود)، سليمان كشلاف، مجلة الناشر العربي، العدد: 6، 1 يناير 1986م،

ص130) وفيه يطرح سؤالا:- هل هناك شيء اسمه (رواية) في ليبيا...؟ وتأتي الإجابة عن طريق تحليل لروايات ليبية منها رواية (المظـــروف الأزرق) للكاتبة مرضية النعاس ، ورواية (العربة) للكاتب إبراهيم النجمي ورواية (خيبة الأمل السعيدة) للكاتب محمد عبدالرزاق مناع ورواية (ثلاثون يوما في القاهرة) للكاتب محمد القمودي، ومع ذلك فلم يسلم الكاتب من الانتقادات في أنه لم تكن له خلفية عن الأدب الروائي الليبي فلم تكن دراسته موسعة بقدر ما كانت كتاباته تعتمد على دراسات مبعثرة من الصحف والمجلات وقدم نصوصا ضعيفة من الجانب الفني ، وبشكل عام يمكن الوقوف على قاعدة أن الرواية الليبية قد بدأت في التشكيل في فترة متأخرة نسبيا إذا ما قورنت بالرواية في الدول العربية فأغلب من درس الرواية الليبية وبداياتها رأي أنها ظهرت وكشكل فني له استقلاليته وحضوره في الستينيات من القرن العشرين وتطورت عبر مراحل مختلفة لتصل إلى ماهي عليه اليوم ،حيث مرت بمراحل عدة ، مرحلة التأسيس في فترة الستينيات تظهر الروايات القليلة مع مجموعة من القصص القصيرة ، ثم تأتي المرحلة الثانية من مراحل تطورها في فترة السبعينيات ، هذه الفترة تتميز الرواية الليبية بتنوع المواضيع والأساليب ، وأما فترة النضج والازدهار وتحديدا في منتصف الثمانينيات فقد تميزت هذه الفترة بغزارة الروايات فنيا وموضوعيا وحضور ملفت للنظر للروائيين الليبيين على الساحة الأدبية العربية منها والعالمية واستطاعت الرواية الليبية أن تلتحق بالمشهد الأدبي العربي والعالمي وتثبت حضورها على الساحتين العربية والعالمية ، لتعكس قضايا متعددة في مجتمع لطالما كان منغلقا على الساحة الأدبية لأسباب متعددة تبرز جلية وواضحة داخل كل نص روائي التي تعكس واقع المجتمع الليبي حيث تعالج قضايا اجتماعية تبرز من خلال وضع المرأة داخل المجتمع الليبي وتظهر في الزواج المبكر والزواج بالإكراه والحرمان من التعليم ، والبحث عن الذات والعلاقات الأسرية المعقدة ، تعكس أيضا الفقر وواقع لفئات من المجتمع مهمشة متأثرة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الليبي ، لا نغفل- أيضا- العادات والتقاليد الإيجابية منها والسلبية التي قد تكون عائقا وتأثيرها على حياة الأفراد والجماعات والعلاقات الأسرية قد تتناول عديد من الروايات الليبية تلك العلاقات بين الآباء والأبناء وبين الأخوة في الغالب وما يحدث من صراعات وخلافات ، وهنالك قضايا أخرى سياسية وتاريخية يقوم الروائي الليبي بتوظيفها داخل نصه في ظل الأنظمة التي حكمت ليبيا ردحا من الزمن فمثلا فترة الاستعمار الايطالي وتأثيره على المجتمع الليبي وقيام الليبيين بمقاومته من أجل

الاستقلال يتناول في كتابه "بنية النص السردي" النقد الروائي الفني في العالم العربي من الناحية النظرية والتطبيقية، ويشير إلى أعمال نقاد مهمين في هذا المجال. علاقة البلاغة بالرواية: يرى أن بلاغة الرواية لا ترتبط فقط بالمباحث البلاغية التقليدية (المعاني، البيان، البديع)، بل ترتبط بجنس الرواية وخصائصه المميزة التي تفرقه عن الأجناس الأدبية الأخرى (بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1991م ص77.) .

كما نجد كذلك قضايا الهجرة والمنفى سواء كانت داخلية وخارجية وتتناول بعض الروايات تجارب الهجرة داخليا أو خارجيا والاسباب التي أدت للهجرة وانعكاسها على المجتمع، وشعور المهاجر الليبي بالغرة والضياع في المنفي أو حتى داخل الوطن، ولا نغفل القضايا الفكرية والثقافية والصراع بين الأصالة والمعاصرة بمحاولة الروائي الحفاظ على ما هو موروث وأصيل والموازنة بينه وبين ما هو حديث والتفاعل معه، كما توجد قضايا لا تقل أهمية عن سابقاتها ألا وهي القضايا الإنسانية **العامة والتي لا تخص فردا بعينه بل مجتمعا**

بأكمله، منها قضايا الحب والفقد وتأثرهما على الأفراد، هذه القضايا وغيرها كانت أرضا خصبة للروائي الليبي، وغالبا ما تتشابك وتتداخل في الرواية الليبية مما يعكس الواقع الليبي واختلافه من جيل لآخر مما يثري تنوعا للمواضيع الروائية في الأدب الليبي، وقد ركز الناقد التونسي منصور قسومة في كتابه "الرواية العربية: الإشكال والتشكل" على علاقة الرواية بالتاريخ. وقال: - "التاريخ يحدث مرة واحدة ولكنه يكتب أكثر من مرة على يد الروائيين، فالباحث يقوم بإعادة كتابة التاريخ من خلال روايته."(الرواية العربية ، الأشكال والتشكل ، منصور قيسومة ، دار سحر للنشر ، ط1997،1م.ص55)

التأسيس التاريخي للرواية الليبية.

مّرت الرواية الليبية بعدة مراحل قبل نضوجها ويمكن أن تحدد تاريخيا ،فالبدايات أو الارهاصات الأولى تأتي في فترة الخمسينيات والستينيات وتصدرت مجموعة الكاتب عبدالقادر أبوهروس التي ظهرت على الوجود سنة 1957م ، وحددت بالإرهاصات الأولى للرواية الليبية ،ويذهب الرأي الآخر إلى عام 1937م مؤخرا تلك الفترة لبداية الرواية بصدور رواية " مبروكة "للكاتب حسين بن موسى حيث صدرت في سوريا عندما كان في منفاه ، وقد كانت مواضيعها في أغلبها تتناول مقاومة الشعب الليبي للاستعمار الإيطالي ، ثم تأتي مرحلة أخرى أكثر تطورا من سابقتها ألا وهي : - مرحلة التطور الروائي في ليبيا وحددت بالسبعينيات والثمانينيات

، وشهدت هذه الفترة بزوغ جيل جديد من الروائيين التي كانت أعمالهم أكثر نضجا ، ويمثل هذه المرحلة الصادق النيهوم ، ومحمد صلاح القمودي، وخليفة حسين مصطفى ، حيث تأثرت أعمالهم بثقافات عربية وغربية ، تلي هذه المرحلة مرحلة أكثر نضجا وهي مرحلة الازدهار وكانت هذه المرحلة اتصفت بالغزارة والتنوع في انتاجها الروائي، وفترتها منتصف الثمانينيات ، ويمثلها مجموعة من الروائيين المرموقين والذين بزغ نجمهم حتى في البلدان الغربية ومن بينهم أحمد إبراهيم الفقيه وأبرز أعماله " فئران بلا جحور - خرائط الروح "، وإبراهيم الكوني وأبرز أعماله "نزيف الحجر –التبر ، وقد تنوعت موضوعاتهم بين القضايا السياسية والاجتماعية والتاريخية وشملت أيضا القضايا الإنسانية . وقد تناول سعيد يقطين في كتابه "تحليل الخطاب الروائي: الزمن، الصيغة، التبئير" جوانب أساسية في تحليل بنية الرواية العربية باختصار، ويرى أن الرواية، كخطاب، هي طريقة لتقديم المادة الحكائية، وأن التغير لا يحدث في المادة الحكائية نفسها بقدر ما يحدث في كيفية كتابتها. - تحليل الخطاب الروائي ،سعيد يقطين ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط3 ،1997م .ص7

الموضوعات التي تناولتها الرواية الليبية:

تتناول الرواية الليبية مجموعة مختلفة من المواضيع التي تعد انعكاسا لتاريخ ليبيا والتحديات الاجتماعية والسياسية والفكرية وما يتطلع إليه الشعب من حرية وعيش سعيد، ولو بحثنا جليا عن تلك المواضيع من حي الاولوية تأتي الهوية الوطنية الليبية وتأكيد الانتماء في المرتبة الأولى وهذا ما تدور حوله أغلب الروايات الليبية وخصوصا ابان فترة الاستعمار والتأثيرات الخارجية، كما ان بعض اعمال الروائيين تتناول النزاعات القبلية والاقليمية التي تشكل الجزء الأكبر في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر ، والحديث عن الهوية من خلال توظيفها داخل النص الروائي بحيث نراه يستكشف الليبي في مهجره ويسرد تجربة فقدانه لوطنه والبحث عنه وتطلعه للحرية، ولو رجعنا الى التاريخ والذاكرة نجد موضوعات متكررة لدى الروائي الليبي منها : دائما ما يكرر فترة الاستعمار الايطالي وهمجيته ومقاومة الشعب له. كما يبرز المكان والعلاقة القائمة بينه وبين الإنسان ، هذا الفضاء الرحب الذي له خصوصيته وأسراره ومدى ارتباطه بالشخصيات ، فالصحراء عند الكوني تحمل معاني عميقة ومتعددة تتعدى وتتجاوز كونها مجرد مكانا جغرافيا قاحلا لا يرحم وليست مجرد خلفية لتلك الأحداث ، بل على العكس تماما فهي شخصية محورية ورمز ومصدر إلهام وهي ذلك الفضاء الفلسفي والروحاني ، وهي مهد لحضارة الطوارق وموطنهم وثقافتهم وهويتهم

ولغتهم ، وهي موطن التأمل والنقاء والصفاء بعيدا عن ضجيج المدن وتلوثها ، فيها يجد الإنسان ذاته ، وهي سجل حي لتاريخ الطوارق وتراثهم ، وهي رمز المطلق واللامتناهي ، واتساع الصحراء يشجع على التفكير في الوجود والمعنى ، وهي مسرح كبير متسع لاختبار القوة والتغلب على التحديات ، كما أنها علاقة مقدسة بين الانسان والطبيعة ، زد على ذلك هي مسرح للأساطير والرموز والخرافات ،ففي روايات الكوني في الغالب ما تكون الصحراء مسرحا للقوي الخفية ،وهي محفزة للخيال والروح ، فنجده يجمع بين المتناقضات التحدي أو القسوة والجمال في رواياته بحيث يرسم لوحة فنية جميلة قل ما تجدها عند غيره ،فالصحراء عند الكوني هي جوهر العالم الروائي ومركز رؤيته الفلسفية والإنسانية) والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل للصحراء أهمية كبيرة في الآداب الأجنبية ؟وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول : - بأننا لو بحثنا جليا عن أوجه التشابه في رواية نزيف الحجر عند إبراهيم الكوني ورواية (الخيميائي) للكاتب البرازيلي (باولو كويلو) والصادرة عن دار الآداب بلبنان اخترنا منها جزئية يوظف فيها الكاتب الصحراء فيقول : - (وهو يخاف الإشارات ، الصحراء علمته أن يستيقظ للإشارات، قالت له الصحراء : - إنه ليس في الحياة شيء يمكن أن يعادل الإشارة عندما تتجاهلها أو تغفل عنها" الإشارة هي القدر" هكذا قالت الصحراء) يمكن القول بأن أوجه التشابه بينهما يكمن في بعض الجوانب منها رحلة البحث عن الذات فكلتا الروايتين تتضمن رحلة وهذه الرحلة يقوم بها بطل بحثا عن شيء مهم وهو البحث عن الكنز ومواجهة الأخطار في صراع مع الطبيعة من أجل البقاء، كما تحمل الروايتان بعدا رمزيا وفلسفيا يتعلقان بالكون والقدر والحب والأحلام وفي نزيف الحجر يتناول الكوني قضايا أعمق وهو الصراع بين الخير والشر ، مع وجود اختلافات جوهرية ، منها اختلاف السياق الجغرافي ، رواية نزيف الحجر تتجدر في الثقافة الصحراوية الليبية وحياة الطوارق ، بينما رواية (الخيميائي) لها سياقات متنوعة ومتباينة، اشتملت على اسبانيا والمغرب ومصر ، والقارئ يلحظ القضايا المطروحة في الروايتين وفي فكرة الرحلة والأبعاد الرمزية وعلاقة كل منهما بالطبيعة .

وتأسيسا لما قيل آنفا فإن الصّحراء عند ابراهيم الكوني فضاء مقدس للطهارة والنقاء ومصدر للحكمة ، فلو حللنا روايته "التبر " وجدناها تحمل معان رصينة ذات علاقة حميمة بين الإنسان والصحراء ، كما أنها تتحدث عن الثنائية الضدية الموت والحياة ، وتوضح قيمة الحياة في مواجهة الموت والصراع المستمر من أجل البقاء ،

فالبقاء للأقوى ، كما إننا نرى توظيفا رمزيا واسطوريا صحراويا قديما يضفي عمقا روحيا على أحداثه وشخصياته ، ونجد أيضا مكانة الحيوان في عالم الكوني الصحراوي له رمزية خاصة فهو ليس مجرد وسيلة للتنقل ولحمل الأمتعة أو مصدر رزق ، بل هو كائن حي له مشاعره وله دور مهم في تكوين الأحداث فالعلاقة بينه وبين الإنسان علاقة روحية تتجاوز المنفعة المادية ،تبرز في الرواية الصراع بين القيم المادية والروحية وإدانة التعلق بالمال "التبر" فينظرون اليه بأنه عنصر سلبي مدنس للصحراء وقيمها الروحية .

تحليل نماذج من روايات ليبية متعددة.

1- نموذج من رواية (نزيف الحجر) للكاتب إبراهيم الكوني يقول :" الصحراء وكنز مكافأة لمن أراد النجاة من استبعاد العبد وأذى العباد ، فيها الغناء ، فيها المراد زفي صمتها حكمة لا تدركها ضوضاء المدن الزائفة ، وفي قسوتها قوة تصقل الروح وتطهر البدن ، هي الأم الرؤوم لمن فقد الحضن ، وهي المعلم الصامت لمن ضل الطريق ، رمالها ذهب لمن عرف قيمتها ، ونجومها مصابيح تضيء دروب الحائرين، من أخلص لها اخلصت له ، ومن وثق بها لم تخنه أبدا هي امتحان للصبر ، ومقياس للإرادة وجائزة لمن اجتاز الاختبار بقلب سليم وروح متجردة " رواية نزيف الحجر ،إبراهيم الكوني،: ، ط3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.ص24

القارئ لهذا الجزء من النص يلحظ تماما قيمة الصحراء وأهميتها لدى الكوني لأنها تعد ملجأ للإنسان وهي مصدر قوة وحكمة له ، وتحرره من الاستعباد والظلم من قب بني جلدته ، ففي صمتها ضوضاء ،وفي قسوتها قوة ، وبهذه الثنائيات تبرز قيمة الصحراء وبها تعطي للنص عمقا جماليا ورمزيا ، كما توضح العلاقة الحميمة بين الصحراء والإنسان في إخلاصه لها تكون المكافأة بإخلاصها له لأنها ليست مكان مجرد بل لها أحاسيس ومشاعر تشعر بمن حولها ، وهذه الرواية تعد انعكاسا للواقع فهي تحمل في طياتها معان عميقة وموضوعات تتعلق بالجانب الإنساني في معاناة الإنسان في مواجهة الصعوبات تحت كم هائل من الضغوطات ، و تسرد التوترات سواء كانت سياسية أو اجتماعية ، ولا تغفل الحديث عن الهوية ،ولو بحثنا داخل الرواية عن الشخصيات الموظفة من قبل الكاتب ودناها شخصيات تعيش صراعات داخلية بسبب الظروف المحيطة بها ، فقد شاءت الأقدار أن تعيش وسط عالم مليء بالتناقضات الغريبة ، فالحجر الذي يرمز إلى القوة والصلابة نجده ينزف .

2- نموذج من رواية (خبز المدينة) للكاتب أحمد إبراهيم الفقيه ، يقول : "في صباح ذلك اليوم كانت المدينة تغلي تحت سماء رمادية ، تلتقط أنفاسها من حرارة الشمس ،بدأت ترتفع تدريجيا ، محملة بذرات الغبار المنبعثة من الشوارع الضيقة، كان الجميع في عجلة من أمره، يركضون كأنهم يهربون من شيء ، غير مرئي ،أما هو فكان يسير ببطء ، يراقب الوجوه العابرة، يحاول أن يقرأ بين ثنايا تلك الوجوه ما يعجز عن قوله اللسان، كان جائعا ليس فقط جسديا ، بل أيضا جائعا للحياة التي لم يعد يراها إلا في خيالاته "

من عنوان الرواية تستطيع سبر أغوارها ، فهو يسرد حياة المدينة والتمدن وما هو انعكاس هذه الحياة وماهي الآثار السلبية التي تتمحور في الحياة المعقدة وكثرة المتطلبات التي ترهق كاهل الإنسان فخبز المدينة ما هو الا رمزا للمادة الأساسية التي بدونها لا يعيش المتمدن ، والانسان يلهث وراءه بغية الحصول عليه ، في وسط الازدحام والضوضاء ، والبحث عن الذات والهوية فالإنسان يجد نفسه في صراع داخلي بينه وبين ذاته ، وبين تحقيق التوازن المادي والروحي ،هنالك أيضا تفاوت طبقي بين من يسكن المدينة ، فالرواية تتناول الطبقات الاجتماعية في المدينة ،هنا يجد الانسان نفسه يطالب بالعدالة الاجتماعية ، ورمزية الخبز هنا ماهي الا رمزا للحياة اليومية المثقلة بالمتطلبات اللامتناهية .

3- نموذج من رواية " خريف الدرويش "، يقول الكاتب إبراهيم الكوني: " كان الدرويش يرى في كثبان الرمال قصصا لم ترو بعد، وحكايات الرياح التي تعبث بها فتعيد تشكيلها كل لحظة. كان يرى فيها وجوها عابرة لأقوام سكنوا هذه الأرض ثم تلاشت آثارهم كوشم على صفحة الزمن، كانت الكثبان له ليست مجرد تضاريس امدة. بل كانت كائنات حية تتنفس بصمت، تغير وتتحول كما تتغير الأيام والأعمار، وأرواحا للأجداد التائهة، وفي هدير الرياح تراتيل كونية أزلية ، كانت الصحراء بالنسبة له مجرد فراغ ، بل كتاب مفتوح يحمل في طياته أسرار الوجود "

مقارنة بين الرواية الأولى والثانية (نزيف الحجر ، وخبز المدينة)

من حيث الموضوعات الرئيسية لكل رواية خصوصيتها التي تميزها عن غيرها فلكل كاتب أسلوبه وسياقاته الخاصة به ، ومع ذلك قد نجد تماسا بين الروايتين ، رواية الكوني تتمحور حول الصحراء والثقافة الطارقية ، وتوضع العلاقة الانسانية بين الطبيعة والانسان فكلاهما كائن حي له مشاعره وأحاسيسه ، كما أن الرواية تعالج قضايا عميقة ومتجذرة بين قسوة الطبيعة يقابلها طمع وجشع الإنسان ، نستطيع القول

بأنها علاقة ضدية أو تصادمية فهي صراع بين الخير والشر بأسلوب ورؤية فلسفية لعالم الكوني الصحراوي فيقدم مزيجا بين الواقع والاسطورة بلغة شاعرية تصف الواقع وتعكس بعدا اجتماعيا لمجتمع ومكون الطوارق ، كما انه يمنح أيضا روايته رمزية ومفاهيم خاصة من خلالها يحاول توحيد الواقع بالاسطوري ،عبر شخصيات متناقضة ، وتعد شخصية أسوف هي محور الرواية والتي تدور حولها الاحداث وتتفاعل معها لتخلق نوعا من الانسجام والنسيج الاجتماعي ، فهو بدوي يقدس الصحراء ،وما تحويه من مخلوقات .

ولو حاولنا الدخول في عالم الفقيه عبر روايته (خبز المدينة) نجدها تعبر عن الواقع الليبي كما أنها تركز على فترة عاشها الشعب تحت وطأة الاستعمار الإيطالي ، وترسم معاناته اليومية ،بلغة السرد المباشر التي تحاكي الواقع حينا والأسطورة حينا آخر .

فيوظف الكاتب فيها تقنيات سردية متعددة تعكس بعدا جماليا للرواية من خلال الحوار الداخلي والدلالات الفلسفية ، باستخدام لغة قوية تسعى لمحاكاة عالم آخر قد يكون موازيا للواقع ، ويعتمد الكاتب في روايته على شخصية تتمحور حولها الأحداث ألا وهي شخصية (عثمان الحبشي) التي تمثل كل فرد من أفراد الشعب الليبي عاش تحولات ليبيا وتقلباتها ، وفي الوقت ذاته نجد شخصيات أخرى تتفاعل معها ، فتعكس تعقيدات لمرحلة تاريخية مرت بها ليبيا فتجسد رؤية تشمل تاريخ ليبيا الحديث ،كما أنها تطرح للقارئ أسئلة خاصة بالهوية وتأثير الصراعات الكبرى على مصير الإنسان.

خلاصـــة ما تقدم :-

على الرغم من تأخر الرواية الليبية إذا ما قورنت بالروايات العربية ، إلا أنها استطاعت أن تحقق هويتها بامتياز من خلال المشهد الثقافي العربي والعالمي متأثرة بالأدب العالمي والعربي ، حيث مرت بمراحل عدة ، مرحلة ظهورها خجلة في الخمسينيات ، تليها مرحلة متطورة في فترة السبعينيات ونهاية الثمانينيات ، بظهور رواية الكاتب الصادق النيهوم (من مكة إلى هنا).

يمكن القول بأن المواضيع والقضايا التي تناولتها الرواية الليبية تعد قضايا متنوعة منها ماهي مجتمعية ووطنية وقومية، ولم تكن مقتصرة على المجتمع الليبي ومعاناته بل تتجاوز حدود القضايا الخاصة إلى القضايا العامة.

ـ مما يؤكد أهمية الرواية الليبية في البيئة الأدبية العربية والعالمية، تتبع الدراسات النقدية لها، مما يدل على أهميتها، حيث تمكنت من حجز مكان في المشهد الأدبي العربي، ومواكبة السرد الروائي العربي في بعض جوانبها .

ـ القارئ للأعمال الروائية للرواة الليبيين يلحظ جليا تأثرهم بمن سبقهم مثل السوريين أو المصريين أو اللبنانيين أو العراقيين، فيجد لغة وأسلوبا مشابها ومستوحى من كتاب كبار لهم باع طويل في مجال الرواية ، كما يجد أيضا المواضيع والقضايا التي يتناولها الروائي الليبي مشابهة لما يطرحه كما أن قضية التأثير بالمدارس الغربية تجدها واضحة ، مما يؤكد أن الأدب الليبي لم يكن بمنأى عن الآداب الأخرى بل هو جزء من الأدب العالمي والعربي ولا يمكن أن ينعزل عن بقية الآداب.

المصـــــادر والمراجـــع : ـ

- الرواية الليبية – مقاربة اجتماعية ، علي محمد برهانة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط، رسالة دكتوراه ، 1996م.
- الرواية العربية ، الأشكال والتشكل ، منصور قيسومة ، دار سحر للنشر ، ط1 ،1997م.
- تحليل الخطاب الروائي ،سعيد يقطين ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط3 ،1997م .
- بنية النص السردي، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 1991م .
- . رواية نزيف الحجر ،إبراهيم الكوني،: ، ط3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.ص24
- الرواية الليبية .. تطلع للوجود)، سليمان كشلاف، مجلة الناشر العربي، العدد: 6، 1 يناير 1986م، ص130